

المزيد

من رأيي المتواضع

غازي عبد الرحمن القصيبي

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

المكتبة الصغيرة

(٤٩)

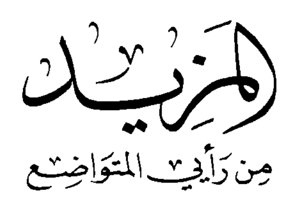
المزيد

من رأيي المتواضع

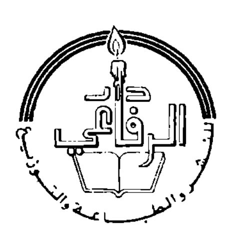
د. غازي عبد الرحمن القصيبي



دار الرفاعي
للنشر والطباعة والتوزيع
الرياض


المزيد
من رأيي المتواضع

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع
ص. ب: ١٥٩٠ - الرياض ١١٤٤١ - تليفون: ٤٧٨٨٨٣٣
تلكس: ٤٠١٣٦٧ (الفرات) - فاكسميلي: ٤٧٩٤٣٢١

إهداء

إلى الذين أرادوا المزيد .

هكذا تكلّم إنسان

● أيها الشوق إلى المعرفة!

كم كتاباً يجب أن أقرأ؟
كم معلماً يجب أن أصدّق؟
كم درساً يجب أن أحفظ؟
قبل أن أصل إلى المعرفة

● أيها الشوق إلى الحب!

كم شفة يجب أن أتبع؟
كم عيناً يجب أن أغازل؟
كم دمعة يجب أن أسفح؟
قبل أن أصل إلى الحب

● أيها الشوق إلى الحكمة!

كم خطأً يجب أن أرتكب؟
كم مأساة يجب أن أشاهد؟

كــم وهمــاً يجـب أن أصــارع؟
قبل أن أصل إلى الحكمة

● أيها الشوق إلى المجهول!

كم جــزيــرة يجب أن أكتشف؟
كم مهلكــة يجب أن أخــوض؟
كــم كــوكبــاً يجــب أن أزور؟
قبل أن أصل إلى المجهول

● أيها الشوق إلى التوبة!

كم خــطيئة يجب أن أقتــرف؟
كــم أفعى يجب أن أضــاجـع؟
كم مـوعـظة يجب أن أحتمــل؟
قبل أن أصل إلى التوبة

● أيها الشوق إلى المجد!

كــم مـبــدأ يجـب أن أنـحــر؟
كــم رجــلاً يجب أن أخــدع؟
كــم وجهــاً يجب أن أرتــدي؟
قبل أن أصل إلى المجد

● أيها الشوق إلى الخلاص!

كم شعلة يجب أن ألمس؟
كم سكيناً يجب أن أعانق؟
كم شوكة يجب أن أمضغ؟
قبل أن أصل إلى الخلاص

قصيرة هذي الحياة!

* * *

الرحيل

القمر هو القمر.
والشاطىء نفس الشاطىء.
وأنا أنا. وأنتِ أنتِ.
ولكنه ضاع!

* * *

هل غاص إلى القاع
كما كان يفعل أجدادنا البحّارة
ولم يعد إلى السطح؟
هل تناثر ذرات في الفضاء
وامتزج بالغبار المتناثر من النجوم؟
هل تعلق بجناح نورس أبيض
وسافر معه
إلى الجزر البعيدة البعيدة؟

* * *

رحـــل . .
فأصبح القمر، نفس القمر،
بلا روعـة
وأصبح الشاطىء، نفس الشاطىء
بلا سحـر
وأصبحت أنا
بلا شعـر
وأنـت
بلا غموض

* * *

ماذا نفعل؟
نبكي عليه
وهو لا يسمع؟
نردّد كلمات الشوق . . ولا نصدّقها؟
نقبع في صمت بارد ككهوف الندم؟
نصلح الأوتار المقطّعة؟
نضرم النار في الشفاه الشاحبة؟
نبحث في الأصابع عن الرعشة التي لم تعد تسكنها؟
* * *

لا!
ليحمل كل منا وروده الذابلة
وليعد من حيث جاء
فما يليق بنا أن نبقى في المكان
الذي عرفنا فيه الحب
بعد أن مات الحب

* * *

الجوع إلى الأبطال

لا لوم ولا تثريب على الذين اختلفوا حول ما قام به المجند المصري سليمان خاطر رحمه الله[1] وهل يعتبر بطولة أو إجراماً أو جنوناً. لا لوم ولا تثريب، لأن الحدود الفاصلة بين البطولة والإجرام ليست من الحديد والاسمنت بل كثيراً ما تكون من ضباب.

كيـف؟!

قتل الإنسان أخاه الإنسان في الأحوال العادية جريمة عقوبتها الإعدام.

ولكنها ـ ذات الجريمة ـ تتحوّل في حالة الحرب إلى عمل بطولي يمنح مرتكبه الأوسمة والنياشين.

---

(١) قام المجند المصري سليمان خاطر بإطلاق النار على مجموعة من السواح الإسرائيليين في سيناء وذكر فيها بعد أنه انتحر في سجنه.

وهل الحرب، رغم تمجيدنا لها، سوى عملية قتل على نطاق واسع شاسع تنفذّه الدولة بكل إمكانياتها وعتادها ورجالها؟.

والحد الفاصل بين البطولة والجنون، بدوره، أدق كثيراً مما نتصوّر.

شهوة الفتح التي انتابت الإسكندر الأكبر ونابليون وهتلر ألم تكن جنوناً ـ في جزء منها على الأقلّ؟.

بقيت كلمة عن أمتنا العربية.

«انقضت» الأمّة على سليمان خاطر ورسمت حوله هالة أسطورية رهيبة.

دولة تطلق اسمه على ميدان من أكبر ميـادينها (لم يكن لشهداء حرب رمضان نصيب في ميدان صغير!).

برلمان في دولة أخرى يكاد يتفرغ لمناقشة موضوع سليمان خاطر.

وحديث في الصحف لا ينتهي عن «بطل سيناء».

إن هذا الجوع إلى الأبطال يرعبني!

لمـــاذا؟

لأنه في زمان الهوان العربي الكاسح هذا اختفت البطولات

الجماعية، تلك الملاحم النضالية التي يكتبها شعب بأكمله، اختفت تحت قبضة الكبت والإحباط والضياع. وتلفتت الأمة تبحث عن بطولات فردية هنا وهناك. تتغنى بها وتمجدها وتبالغ في تصويرها. في محاولة يائسة لنسيانه الذلّ الذي يحيط بها من كل جانب.

والبطولات الفردية أعمال رائعة ولكنها لا تكسب حرباً ولا تحقق نصراً حاسماً ولا تكتب تاريخاً.

أتذكر العبارة الشهيرة:

ـ ويل لأمة ليس فيها أبطال.

ـ كلا! ويل لأمة تحتاج إلى أبطال.

* * *

تأملات كروية..
من كائن غير كروي

يظن كاتب هذه السطور أنه من أجهل خلق الله بكرة القدم. ويعلم علم اليقين أنه أجهل معارفه وأقاربه وأصدقائه وجيرانه بها. وقد لعب المذكور أعلاه الكرة مرة واحدة في حياته أيام الدراسة الثانوية. وقد سجل في تلك المباراة التاريخية هدفين ضد فريقه (وكان قلب الدفاع!). فما كان من مدرس التربية البدنية إلا أن قرّر حرمانه إلى الأبد من دخول الملعب. تلقى صاحبنا القرار بحبور عظيم ولسان حاله يردد المثل المصري العامي «بركة يا جامع!...».

استمرّت القطيعة بين صاحبنا وبين كرة القدم بضع سنوات. ثم في الخمسينات الميلادية، وكان يدرس في القاهرة، قرر فجأة أن يصبح من مشجعي النادي الأهلي الذي كان يقود فريقه «المايسترو» صالح سليم. وقد كانت هناك عوامل عاطفية وراء القرار نضرب صفحاً عن ذكرها لأسباب لا تخفى على

فطنة القارىء.. ولا فطنة أم البنين. استمر هذا الاهتمام الكروي شهوراً قليلة وانتهى بانتهاء العوامل العاطفية. ومنذ ذلك التاريخ السحيق لم يشاهد صاحبنا سوى مبارتين أو ثلاث تحت وطأة ظروف لم تدع مجالاً واسعاً للاختيار.

وقد نجح كاتب هذه الأسطور في إضفاء جهله المطبق بكرة القدم باللجوء إلى الصمت الرهيب وهز الرأس كلما دار نقاش كروي أمامه. وكان المتناقشون يحترمون صمته معتقدين أنه يخفي الكثير من الحكمة (جاهلين أن معظم الصامتين لم يصمتوا إلا لأنهم لا يجدون ما يقولونه!).

ثم جاءت دورة الخليج الثامنة وكان من المستحيل تفادي كرة القدم. رضخ صاحبنا لأحكام الأمر الواقع وجلس أمام المرناء يشاهد المباريات ويسمع المعلق يحرض فريقه على سفك دماء الفريق الآخر ويضيف فوراً: «إن هذه مباراة ودّية أخوية بين أشقاء أعزّاء».

قال صاحبنا لأكبر أولاده وهو من أوغاد المراهقين:

ـ يتكلمون كثيراً عن التسلل.. فما هو يا بنيّ؟

ـ ألا تعرف ما التسلل يا أبتاه؟

ـ لا والله يا قرة العين.

ـ هو «الأوف سايد» يا أبي!

ـ وما «الأوف سايد» جعلت فداك؟!

ـ ألا تعرف ما «الأوف سايد»؟!.

نظر الوغد المراهق إلى أبيه نظرته إلى مخلوق غريب هبط من كوكب منقرض واستغرق، المراهق لا المخلوق الغريب، في ضحك هيستيري طويلة. قرر صاحبنا حفاظاً على السلام المنزلي أن يتجاهل ما في هذا المرح من سوء أدب وأن يطلق بدوره ضحكة شبيهة بضحكة المعلق عندما يسجل فريقه «هدفاً مركّزاً».

شحذ صاحبنا ذهنه المكدود فتبين له، بعد لأيٍ، أن التسلل يعني انفراد لاعب بمرمى الخصم في غفلة من الآخرين. ورأى في ذلك ضرباً جيداً من ضروب الخداع. قال لنفسه: «ما دامت اللعبة كما نرى حرباً ضروساً. وما دامت الحرب خدعة. وما دام التسلل نوعاً من أنواع الخدع فلماذا يمنع ويعاقب عليه؟».

التفت إلى الوغد المراهق مرة أخرى:

ـ يا ولد! لماذا يمنعون التسلّل؟

ـ قوانين الكرة.

قالها دون أن يرفع عينيه عن الشاشة الصغيرة.

لاحظ صاحبنا، ضمن ما لاحظ، أن لاعباً مـا يضرب فيسقط متلوّياً من الألم ويتجاهله الحكم. بينما يمس النسيم وجنات لاعب آخر فينفطر قلب الحكم ويوقف اللعبة. سأل صاحبنا أحد الراسخين في الكرة عن السبب فأجابه باقتضاب:

ـ الحكم سيد الملعب!

ـ ولكن حتى السيّد...

ـ قلت لك. الحكم سيّد الملعب!!.

كما لاحظ صاحبنا، ضمن ما لاحظ، أن لاعباً ما قد يركل لاعباً من الفريق الآخر ركلة قوية (مليئة بروح المودة الخليجية بطبيعة الحال!) ثم يحدث شيء من عدة أشياء. يستمر اللعب وتذهب الركلة هدراً. أو يعتبر ما حدث «فاول». أو ينذر اللاعب الراكل. أو يطرد نهائياً.

قال صاحبنا لراسخ كروي آخر:

ـ ولكن كيف تتفـاوت العقوبـة على هـذا النحو والجـرم واحد؟!.

نظر إليه الراسخ الثاني ببرود وأجاب:

ـ الحكم سيّد الملعب!!.

قرّر كاتب هذه السطور أن يعود إلى مقاطعته القديمة لكرة

القدم حتى تعدّل قوانينها على نحو يسمح بالتسلّل ويقلّص من سلطات الحكم الهتلرية. كما قرر أن يرفع «غترته» تحية لثرى الحرب الذي اشترى ذات يوم ٢٢ كرة ووزعها على اللاعبين حقناً للدماء!.

* * *

الحصان[٧]

كان الجبل الشامخ يرشح عرقاً. .
ويتلوّى ألماً. .
ويصهل دموعاً. .

قال صديقي:

ـ سيموت هذا الحصان لا محالة.

ـ ولكن كيف تعرف؟

ـ انظر إليه. لقد أخذ يطأطىء رأسه. وأعناق الخيول في الغيم دائماً. لا تنحني إلا مع النهاية. وانظر إلى البريق الغريب في العينين يختفي. وتحل محله ملاءة من الحزن. والحصان لا يبكي إلا في نهاية الرحلة. انظر إليه كيف يتلوّى. كيف يصارع حتى اللحظة الأخيرة.

وتأملت الجسد النبيل الجميل.
يفقد نبله وجماله

حبة عرق إثر حبة عرق
ورأيت العرف المتحدي . .
يتراخى شعرة بعد شعرة . .
ورأيت العنق يرتفع قليلاً . . قليلاً
ثم يهوي . .
وسألت نفسي :
ترى بماذا يفكر الآن؟ .
هل تطوف بباله ذكريات الجموح والصهيل؟
هل يحلم بالانطلاق مع الريح يسابقها . . ويسبقها؟
هل يجوب بخياله المروج الخضراء؟
هل يتطلع إلى معارك لم يدخلها من قبل؟
أحسست بالألم يعصر أضلعي .
وراودتني رغبة عنيفة في الهرب من المشهد . .
ولكنني لم أستطع الفرار
لا أقل أن نشارك هذا الجميل النبيل
مشاركة صامتة
لا يتحدّث خلالها أحد
وفجــأة . .
هدأ الجبل المتململ

وصمت الصهيل
وسكن التمرد..
لا!
لم أبصر حيواناً يموت
ولكن كبرياءً تتهاوى



حوار مع آنسة أوربية حنون

ـ شيء رهيب ما يفعلونه بالكلاب..

ـ من هم؟!

ـ أصحاب الكلاب. قساة القلوب.

ـ وماذا يفعلون بالكلاب؟

ـ يضربونها. قرأت اليوم مقالاً عن الإصابات التي تتعرض لها الكلاب على أيدي أصحابها.

ـ وقرأت في نفس الصحيفة مقالاً عن الإصابات التي يتعرّض لها الأطفال على أيدي آبائهم وأمّهاتهم.

ـ تصوّر إنساناً يضرب كلبه..

ـ تصوري إنساناً يعذب ابنه..

ـ الكلب البريء المسكين..

ـ الطفل البريء المسكين..

ـ لقد وصلت حالات ضرب الكلاب في بريطانيا وحدها عدة مئات في السنة.

ـ وحالات تعذيب الأطفال في بريطانيا وحدها تجاوزت هذا العدد.

ـ تصور أن كلباً فقد أسنانه نتيجة الضرب.

ـ تصري أن أماً أحرقت طفلها.

ـ ولكن كيف يستطيع إنسان أن يضرب كلباً؟.

ـ وكيـــف . . .

ـ لماذا تقاطعني؟ هل تكره الكلاب؟ هل تضربهم؟

ـ كلا . . ولكنني كنت أتحدث عن الأطفال.

ـ الأطفال؟! هل تمزح. إنني أتحدث عن موضوع إنساني هام.

ـ . . . . !!!!

* * *

مراسلة

عجيبة رسائلك.
وأعجب منها رسائلي.
رسائلك لا تحمل توقيعاً.
ورسائلي تندسّ بين القصائد.
كأنك تخافين أن تعترفي أنك تكتبين ـ كالمراهقات ـ رسائل غرام.
كأني أخجل أن أقول إنني أسطر ـ كالمراهقين ـ رسائل حب.
ومع ذلك فالرسائل تترى.
ولكن! مَنْ يراسل مَنْ؟
تراسلينني وأراسلك؟
أم أنه الشوق إلى المجهول يخاطب الشوق إلى المجهول؟
حب الاستطلاع يحاور حب الاستطلاع؟
اللعب، عن بعد، بالنار يعابث اللعب، عن بعد، بالنار؟

وهل نجرؤ ، ونحن مشدودان إلى عالمينا بخيوط العنكبوت والحرير والذهب والفضة، أن نحول الشوق إلى المجهول، إلى الشوق إلى المعلوم؟ حب الاستطلاع إلى استطلاع؟ اللعب، عن بعد، بالنار إلى غمس الأصابع في أعماق البحر؟.

أما أنا فأخاف!

أخاف أن تلتوي الخيوط على عنقي ـ وتخنقني.

وما أخالك إلا خائفة بدورك.

إذن فهو الخوف يخاطب الخوف. ويدعي الشجاعة.

لا بـــأس؟

اكتبـــي!

وماذا بعد؟

شكراً لساعي البريد!.

* * *

تهنئة

يا زعماء لبنان!
من تجاوزوا التسعين ومن لم يبلغوا العشرين. .
من عملاء الشرق. . وعملاء الغرب. .
وعملاء أنفسهم!. .
أيها القناصة البواسل!
يا فرسان الميلشيات
من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار
إليكم جميعاً نزّف البشرى
فقد حققتم معجزة
لم يشهد التاريخ لها مثيلاً
هل تعرفونها؟
استغرقت الحرب الأهلية الأمريكية
خمس سنوات

ومثلها الحرب الأهلية الإسبانية . .
ومثلها الحرب العالمية الأولى . .
ومثلها الحرب العالمية الثانية . .
خمس سنوات . .
لا أكثر . .

أما أنتم فحربكم تدخل الآن
عامها الثاني عشر . .
فللّه درّكم!
للّه درّكم!
للّه در عيونكم . .
التي لم تسأم رؤية السيارات المفخخة
والشوارع المقسّمة . .
للّه در أنوفكم . .
التي لم تشمئز من روائح الجثث . .
للّه در أصابعكم . .
التي لم تتذمر من طول الضغط على الزناد . .
عقد من الزمان
وسنتـان
وقلوبكم الحديدية لا تعترف بالوهن

وأرواحكم الصلبة لا تعرف الكلل
فللّه دركم!
يا حملة الكلاشنكوف..
ورماة الكاتيوشا..
ومصوّبي الهاون..
عقد من الزمان..
وسنتـان..
هكذا.. وإلا فلا
يكون الرجال
ويكون الاقتتال
وتكون الحروب
يا زعماء لبنـان!
وصناديده!
ماذا نقول لكم؟
كل عام وحربكم بخير!!

* * *

مَوتُ إنسَان بسيط

كان يشكو سعالاً خفيفاً. ورفض السعال أن يذهب. ومرّت أسابيع. وأصرّ أحد أصدقائه الأطباء أن يصطحبه إلى المستشفى. وصور الرئة. وذعر الطبيب. وأرسل صديقه إلى مركز تخصصي. وهناك كان الحكم قاطعاً ونهائياً: لديك بضعة شهور. لا آمل في الجراحة. لا جدوى من العلاج الكيمائي. تغلغل السرطان في كل مكان. بضعة شهور. قد تنقص قليلاً. أو تزيد قليلاً.

ببساطة، ذهب إلى بيته وأغلق الباب وجلس ينتظر الموت. ينتظره بدون خوف، بدون نقمة، بدون حرقة. كان يحس أن دوره على الأرض انتهى فلم يبق مبرر لإطالة البقاء. فقد الرغبة في وجود مصطنع يرتكز على معدّات الطب الحديث. وبعد شهور ثلاثة من اكتشاف المرض أغمض عينيه ومات. مات ببساطة. كما عاش ببساطة. بساطة العظمة.

بدأ من أول السلم عاملاً يدوياً. ثم دفعه طموحه إلى الالتحاق بالمدرسة. ثم حصل على بعثة وعاد بشهادة جامعية من الولايات المتّحدة. وتدريجياً، شق طريقه بكفاءة وصمت. حتى أصبح وكيلاً لوزارة من أهم الوزارات. ورئيساً لعدة مجالس إدارة في شركات عملاقة. وقّع عقوداً بآلاف الملايين. ولكنه لم يتغيّر. ظل إنساناً بسيطاً. يسوق سيارته بنفسه. يحمل حقيبته بنفسه. لم يدخل مرة واحدة قاعة «كبار الزوار». كان يهرب من الأضواء. يخاف الصحفيين. ينفر من عدسات المصوّرين. يعمل بصمت وفعاليّة.

قبل أن يموت كنت أتحدّث معه عن أوضاعه المالية. قال لي: إنه يشعر بالاطمئنان لأنه بنى منزلاً يؤوي أولاده بعده. وقال لي أنه يملك مبلغاً «لا بأس به». كان المبلغ أصغر من صغير، بمقاييس عصر النفط. ولكنه قال ببساطة: «سيكفي الأولاد». وفي هذه الأثناء دخل طفله الصغير الغرفة. ونظر الأب إلى الابن نظرة خاطفة. ولكنها كانت مليئة بألف معنى.. ومعنى.. وأسرعت بالخروج حتى لا يرى دمعتي..

رحم الله يوسف عبد الله الحماد.

* * *

تعست العجلة!

يقال، والعهدة على الراوي، أن رجلاً أرسل غلاماً في حاجة لا يستلزم قضاء مثلهـا عادة غير سويعات. فعاد بعد سنة. فقال الرجل: «تعست العجلة!» فذهبت مثلاً.

أتذكّر هذا المثل كلما رأيت «قضايا الساعة» التي تشغـل الذهن الثقافي العربي، وقد كانت «قضايا الساعة» عند غير العرب منذ عقود، وأحياناً منذ قرون.

مثلاً، نحن لا نزال نعتبر «الشعر الحرّ» قضية ساخنة تسيل عليها الدماء المُضرية، وتؤلّف عنها الكتب العنترية، ويبـحّ الشعراء والنقاد حناجرهم نقاشاً حولها. وهي قضيـة انتهى الغرب منها منذ قرون، منذ شكسبير وربما قبله، عندما كتب الشعر الكلاسيكي من كتب. وكتب الشعر الحر من كتب. وانتهت الحفلة.

مثلاً، نحن لا نزال ندور بإصرار عقيم عظيم مذهل حول قضايا «الأصالة» و«المعاصرة» و«القدم» و«الحداثة» ونجترّ كل ما قاله، أي مفكر عميق أو سطحي في كل لغة حيّة أو ميّتة. والقضية محسومة، قبل أن تبدأ، بمعادلة بسيطة وهي أن الأديب الحقيقي يجب أن يكون، في الوقت نفسه، أصيلاً ومعاصراً، قديماً وحديثاً (أو حداثياً!).

مثلاً، نحن نثير حروب داحس والغبراء حول «الشعر النبطي» وكأنه موضوع انفجر علينا هذه الأيام، وكأننا لم نعش مع الشعر النبطي مئات السنين.

مثلاً، قرأت في صحيفة موضوعاً عن تحضير الأرواح يوحي للقارىء أن الصحيفة العبقرية اكتشفت الظاهرة. وحقيقة الأمر أن تحضير الأرواح، وما تبعه من نقاش بدأ عندما أخذت طاولة تهتز في الولايات المتحدة.. منذ قرابة قرن من الزمان!.

وأخشى ما أخشاه أن نكتشف ـ فجأة ـ موضوع «البيضة» و«الدجاجة» ومن شرفنا ـ بطلعته البهيّة ـ قبل الآخر ـ ننقسم إلى «بيضيين» و«دجاجيين»!.

أما أنا فمن أنصار البيضة ـ لأنها لا تفتح فمها بقضايا الساعة!.

* * *

الفراشة والوردة

ـ امنحيني قبلة. قبلة واحدة فقط.

قال ذكر الفراش وهو يحوم حول الوردة الفاتنة.

ـ لا! لا!

قالت الوردة بإصرار.

ـ ولكن لماذا؟ ألا تعجبك ألواني؟

ـ إن ألوانك ساحرة.

ـ ألا يروق لك أسلوبي في الطيران؟

ـ إن طيرانك أشهى من الحلم.

ـ امنحيني إذن قبلة. قبلة واحدة فقط!

ـ لا! لا!

ـ هل تكرهين الفراش؟

ـ كلا. إنني أعشق الفراش.

ـ أنتِ وردة ميتة الإحساس.

ـ ليتني كنت كذلك.. إنني أشقى بهذا العشق المحموم في دمائي.

ـ امنحيني إذن قبلة. قبلة واحدة فقط.
ـ لا! لا!
ـ هل تخافين أن يغار أبوك؟
ـ مات أبي في الخريف.
ـ أو أن يغضب صديقك؟
ـ ليس لي صديق.
ـ امنحيني إذن قبلة. قبلة واحدة فقط.
ـ لا! لا!

بألم تخنقه الكبرياء. دار ذكر الفراش مرتين حول الوردة قبل أن ينطلق بعيداً، بعيداً.

اقتربت وردة أخرى كانت تسمع الحوار من صديقتها وسألتها برقة:

ـ أعرف أنك تحبينه. لماذا لم تمنحيه القبلة؟.

ترقرق الدمع في عيون الوردة الفاتنة. وهي تهمس:
ـ كيف أستطيع؟
لقد كانت رائحة الوردة الأخرى...
التي زارها قبل قليل..
تفوح حوله..
وقطعن أعماقي..

فلافل الدكتور مهدي

الدكتور محمد مهدي مواطن عربي يقيم في نيويورك منذ ثلاثين سنة. وخلال إقامته الطويلة هذه كان شوكة في جنب الصهاينة. اعتدوا عليه باللسان مرات. ثم اعتدوا عليه جسدياً. ولا زالت في جسمه عظام مكسورة وضلوع مهشّمة تحمل الثمن الذي دفعه جزاء وفاقاً لدخوله في ما لا يعنيه.

الدكتور مهدي أعلن أخيراً أنه سيوقف كل نشاطاته المناوئة للصهاينة ويتفرغ لبيع الفلافل بعد أن انقطعت كل موارده المالية.

نهاية فاجعة؟! مصير مروع؟!

لا! الأمر أبسط من ذلك.

تمرّ بالشعوب والأمم عصور مختلفة. فهناك العصور الذهبية. وهناك عصور الانحطاط.

وعالمنا العربي، فيما يبدو، يعيش هذه الأيام «عصر الفلافل».

فهنيئاً للدكتور مهدي مهنته الجديدة التي ستضمن، على أقل تقدير، سلامة عظامه وضلوعه.

وهنيئاً للعرب عصرهم الفلافلي المشرق.

وأما أنت، عزيزي القارىء، فلا تنس إن أتيح لك أن تزور نيويورك أن تعرج على الدكتور مهدي وتأكل معه «سندوتش فلافل»... على روح الأعلام العربي.

* * *

المتنبي والمرأة

تعـريـف

سـهــادٌ لأجفــانٍ وشـمس لنــاظـرٍ
وسقم لأبــدانٍ.. ومســك لنــاشقِ

وماذا عن الغدر؟

إذا غـدرت حسنـاء وفتّ بعهــدهـا
فمن عهـدها ألّا يـدوم لهـا عهـدُ!

وإذا حقدت؟ أو رضيت؟

وإن حقـدت لم يبق في قلبها رضـا
وإن رضيت لم يبق في قلبهـا حقـدُ

وماذا عن العشق والكره؟

وإن عشقت كــانت أشـد صبــابـة
وإن فركت فاذهب!.. فما فركها قصد

هل المرأة لغز؟

كـذلـك أخـلاق النسـاء.. وربّمـا
يضلّ بها الهـادي ويخفى بها الـرشد

هل الدنيا امرأة؟

شيم الغـانيـات فيهـا.. فـما أدرى
لـذا أنّث اسمهـا النـاس أم لا؟

وهل المرأة نرجسية؟

أنـت مـنّـا! فـتـنـت نـفـسـكِ!
لكنـك عـوفيت من ضنىً واشتيـاقِ

وماذا عن جمالها؟

تنـاهى سكون الحسن من حـركاتهـا
فليس لـرائي وجهها لم يمت عـذرُ!

وباختصـار؟!

لعينيك ما يلقي الفؤاد.. ومـا لقي
وللشوق ما لم يبق مني... وما بقي

* * *

الرأي السديد في حقيقة الترشيد

كثرت استخدامات كلمة الترشيد في صحافتنا العربية. ولم أفهمها. ففزعت إلى ما لديّ من معاجم أستفتيها فلم أجد للكلمة معنى. ففزعت إلى الذاكرة فلم تسعف. فقررت أن أقف على قارعة الطريق وأسأل السابلة:

● كان أول من مر بي عامل مهموم فسألته:

ـ ما الترشيد يا أخا العرب؟

ـ الترشيد هو أن تضربك الشركة التي تعمل بها «راشدي».

● بعده مرت مراهقة حسناء فهتفت بها:

ـ أتعرفين ما الترشيد يا أختاه؟

فضحكت ضحكة موسيقية. وغرّدت:

ـ طبعاً الترشيد هو مشاهدة أفلام «رشدي أباظة».

● بعدها مر بي طالب صغير:

ـ أتعرف ما الترشيد يا ابني النجيب؟

ـ الترشيد هو المطالعة في «القراءة الرشيدة».

● ومرت سيارة فخمة تحمل رجل أعمال خطير:

ـ الترشيد سيدي!

نفخ في وجهه دخان سيجاره الضخم وقال:

ـ أوكي. الترشيد هو أن تحيا مثل «هارون الرشيد».

● بعدها مر بي مدرس للغة العربية. فسألته:

فسعل. وتنحنح. وفكر. ثم قال:

ـ الترشيد يا بنيّ هو حث القاصرين على «بلوغ الرشد».

● كنت على حافة اليأس عندما مر بي صاحبي الحكيم. في يديه عشرة أقلام ملوّنة. وعباءته تخفق في الريح. قلت لنفسي:

ـ إذا لم أجد الجواب هنا فسوف أعود خائباً إلى المنزل وأكتب إلى «إذاعة لندن بين السائل والمجيب».

صرخت بهلع:

ـ يا أستاذ! النجدة! النجدة! هل تعرف ما الترشيد؟.

وقف الحكيم. واندفع قائلاً:

ـ على الخبير وقعت! الترشيد كلمة مركبة من كلمتين هما «تر» و«شيد». أما «التر» فلغة في التمر. ومنه قول الحطيئة في قصيدته الشهيرة التي يهجو فيها حماته:

وإني إذا ما الجوع أنشب نابه
ببطني.. توقيتُ المجاعة بالترِّ

أما «الشيد» فهو الحليب بلغة الطليان. ومنه قول ابن الرومي يصف عشاء دعاه إليه ابن العكوك:

وجاء ببعض الشواء اللذيذ
ومن بعد ذلك جاء بشيد

فالترشيد، عافاك الله، هو تمر وحليب.

قلت مبهوراً:

ـ لا فض فوك!

* * *

مؤتمرات القمّة: كشف الحساب

ـ ١ ـ

نعقدها أو لا نعقدها؟

لا يزال الجدل قائماً بين دارسي العلاقات الدولية حول جدوى دبلوماسية القمّة، أي تلك التي تتمّ على مستوى رؤساء الدول.

يشير مؤيدو القمة إلى الاعتبارات التالية:

● أن رئيس الدولة، باعتباره السلطة الدستورية العليا، يستطيع أن يلتزم بالتزامات لا يستطيع غيره أن يلتزم بها.

● أن رئيس الدولة يستطيع أن يتخذ قراراته بسرعة وفعالية لا يمكن أن يتوفرا في القرارات المتخذة في مستويات سياسية أدنى.

● أن اللقاءات المباشرة كثيراً ما تؤدي إلى علاقات صداقة شخصية تنعكس على العلاقات بين البلدين.

ويرد معارضو القمة، فيقولون:

● إن التزام رئيس الدولة في مؤتمر قمة قد يكلف دولته ثمناً باهظاً إذا لم يكن الرئيس مستوعباً القضايا المعقدة المطروحة (كالسادات في كامب ديفيد) أو إذا لم يكن في حالة صحية ونفسية ممتازة (كروزفلت الذي حضر مؤتمر بوتسدام الحاسم وهو في غاية المرض والإنهاك).

● إن سرعة القرار لا تعني صواب القرار. وكثيراً ما يكون البطء الذي يواكب صنع القرار السياسي نتيجة مروره بقنوات عديدة ضماناً للوصول إلى قرار بعيد عن السطحية والانفعال.

● إن اللقاءات المباشرة ليست، بالضرورة، سبباً في الاستلطاف، فقد تؤد إلى كره من النظرة الأولى (حدث شيء من هذا في اللقاء الأول والأخير بين إيدن وعبد الناصر). كما إنها قد تؤدي برئيس ما إلى تبني انطباع خاطىء عن نظيره نتيجة ملاحظات سريعة وغير دقيقة (يرى البعض أن خروشوف حكم على كيندي بالضعف والتردد نتيجة لقاء قصير في قمة فيينا وقد أدّى هذا الحكم إلى مغامرة الصواريخ في كوبا).

ويضيف معارضو القمة:

● إن أخطاء الرؤساء يصعب تلافيها كما يمكن تلافي أخطاء المسؤولين الأدنى.

● إن خيبة الأمل التي تنشأ عن فشل قمّة ما قد تؤدي إلى نكسة خطيرة في العلاقات تتطلب معالجتها شهوراً أو سنوات.

ولكن هذا كله نقاش نظري في بطون الكتب!!.

أما الواقع الدولي فيعترف بدبلوماسية القمة كوسيلة من وسائل التعامل العاديّ بين الدول. وقد اقترنت قرارات تاريخية غيرت وجه العالم بمؤتمرات قمّة. ولا يكاد أسبوع واحد يمرّ دون لقاء قمة بين دولتين أو أكثر.

البحث النظري لا يعنينا هنا. ما يعنينا هو مؤتمرات القمة العربية التي جاوز عددها أربعة عشر.

ماذا حققت هذه المؤتمرات للعرب؟!

هذا هو السؤال!.



مؤتمرات القمّة: كشف الحساب

ـ ٢ ـ

ما بين الهدنة والدعم

إذا وضعنا مؤتمرات القمة العربية المتوالية تحت منظار التحليل الهادىء تبين لنا ما يلي:

● في الستينات: كانت مؤتمرات القمة وسيلة ناجعة لإعلان هدنة مؤقتة بين المعسكر الثوري والمعسكر المحافظ كلما اقتضتها مصلحة أحد الطرفين (الثوري غالباً) أو كليهما. وكل ما عدا ذلك من شعارات مطاطة (كروح القاهرة وروح الاسكندرية) لم تكن سوى غطاء برّاق يخفي هدف القمة الحقيقي وغير المعلن: الهدنة المؤقتة.

● في السبعينات: حققت القمة العربية هدفاً «يتيماً» واحداً هو «دعم» دول المواجهة. وكانت منطقة الخليج المصدر

الأساسي لهذا الدعم كنتيجة طبيعية لتوفر المال في المنطقة وخاصة بعد ارتفاع أسعار النفط.

إذن، لم تكن مؤتمرات القمة محاولات حقيقية جادّة لخدمة أهداف الأمة العربية الكبرى بل كانت «عناقاً مؤقتاً» في الستينات، و «خط دعم بترولي» في السبعينات.

بعبارة أخرى، أكثر صراحة، لم تنجح مؤتمرات القمة العربية المتوالية في رسم استراتيجية عسكرية عربية واحدة، ولا في إقرار خطة تنموية عربية واحدة، ولا موقف عربي دولي واحد، ولا في إيجاد أجهزة وقنوات تعالج المشاكل التي تطرأ وتحلّها. لا بل إن مؤتمرات القمة لم تنجح في إيجاد تنظيم يحكم عقد المؤتمرات. فأصبحت تعقد كل عام أو كل عامين أو مرتين في العام (حسب الظروف والتساهيل).

تدريجياً تحولت مؤتمرات القمة إلى لقاءات عابرة سريعة لا يُعدّ لها بانتظام ولا يأخذها الحاضرون بقدر كاف من الجدية ولا يعيرها العالم اهتماماً. وتنتهي المؤتمرات في العادة بعبارات إنشائية غائمة يكتبها موظفو الجامعة وعيونهم مغلقة من طول المران.

● ماذا حدث؟

وكيف آلت القمة إلى هذا المصير؟.

السبب الحقيقي في انحدار القمة يكمن، وهذا رأي شخصي متواضع، في أن أي دولة عربية لا تذكر القمة ولا تريدها إلا إذا «تورطت» على نحو ما:

● تورّطت في تدخل استنزف قواها ـ كتورط مصر في اليمن (وقد تلاه مؤتمر الإسكندرية).

● أو تورطت في حرب عصفت بها ـ كتورط العرب في حرب الأيام السّتة (وقد تلاه مؤتمر الخرطوم).

● أو تورطت في مشاكل اقتصادية عويصة تتطلب «الدعم العربي» (وهو تعبير لطيف يفضل بكثير «الدعم الخليجي»).

أكاد أقول إننا لو نظرنا في مؤتمرات القمة العربية الماضية لوجدناها تتلو بدقة لا تكاد تخيب التورطات العربية حتى أنه ليجوز لنا أن نسميها دون عدوان كبير على الحقائق «قمم الورطات العربية».

* * *

مؤتمرات القمّة: كشف الحساب

ـ ٣ ـ

وما العمل إذن؟!

على أن فشل القمة العربية وتخبّطها ـ أو بالأدق فشلها نتيجة تخبّطها ـ ليست قدر القمة المحتوم ولكن نتيجة منطقية للنظرة المحصورة الضيقة إلى القمة، والفهم غير الدقيق لطبيعتها.

● يتصور البعض أن انعقاد القمة ضروري لإنقاذ متورط ما من تورطه عن طريق حشد الإمكانيات العربية لصالحه. وهذا تصور لم يقم عليه دليل. فأروع مظاهر التضامن العربي في حروب ١٩٥٦ و١٩٦٧ و١٩٧٣ تمت دون لقاءات قمة وبمبادرات عفوية من جانب كل دولة. كما أن أسخى دعم عربي يقدم اليوم لم يعرض على أي قمة عربية، ولو عرض لكان من المشكوك فيه أن ينجح القرار.

● ويتصوّر البعض أن القمة مؤتمر سحره يحوّل الحقد حُباً والثأر تسامحاً والكراهية هياماً. وهذا بدوره تصور مغلوط من ألفه ويائه. فبعد مؤتمرات القمة كلها لا يزال المتخاصمون يتخاصمون والمحاربون يتحاربون (بالأسلحة أو الكلمات).

● ويتصور البعض أن القمة وسيلة ذكية لإحراج دولة أو دول في اتخاذ قرارات لا يمكن أن تتم دون القمة. وهذا التصور وهم كبير وخطير. كبير لأن القرارات التي تتخذ تحت وطأة الإحراج تتبخر بمجرد زوال الإحراج (وهو أمر يعرفه كافة المقرضين والمقترضين من الأفراد!) وخطير لأن الاعتماد على قرارات كهذه قد يؤدي إلى كارثة تحيق بالطرف الذي رتب أموره على أساس «وعود القمة».

● ويتصوّر البعض أن انعقاد قمة هو «رد فعل كاف» ضد أي حدث سياسي خطير (ما أجمل التصريح «دعونا لقمة عربية طارئة تبحث الموقف»!). وحقيقة الأمر أن القمة ما لم تخرج بقرارات عملية كانت مجرد تظاهرة فارغة، ويبقى الحدث الخطير دون «رد فعل كاف».

من البديهي، في تصوري، بعد هذا كله أن ننتهي إلى النتيجة التالية:

● إذا جرّدنا مؤتمرات القمة من الأوهام التي تكتنفها أمكننا

أن نحظى باجتماعات مثمرة تدفع قضايا العرب إلى الأمام وتخدم فكرة الوحدة العربية وتنجح في معالجة عدد لا يستهان به من المشاكل.

ولكي يتحقق ذلك فلا بدّ أن:

- تعقد القمة في موعد سنوي محدد لا يتغيّر ولا يتبدل حسب الأمزجة والأهواء و«الخلافات العربية الطارئة».
- تنعقد القمة إذا حضر أكثر من نصف الدول العربية.
- تعقد القمة بالتناوب في كل عاصمة عربية.
- تحظر القمم «الطارئة» حظراً باتاً وبإمكان أي دولة تلمّ بها نازلة أن تجري اتصالات ثنائية مباشرة.
- يركز جدول الأعمال على القضايا الحيوية التي تمسّ العالم العربي **بأكمله** كقضايا الوحدة والتنمية الاقتصادية والاستراتيجة العسكرية والمواقف السياسية دون القضايا التي لا تهم سوى منطقة جغرافية بعينها، أو دولة بعينها.
- يترك موضوع الدعم للاتصالات المباشرة بين الأطراف المعنية.
- يسبق أي مؤتمر للقمة مؤتمر تمهيدي يضم وزراء الخارجية

والدفاع والاقتصاد، ولا يسمح بمناقشة أي موضوع لم يقر من هذا المؤتمر التمهيدي.

لو حدث هذا، وليس حدوثه بالمستحيل، فقد يكون بإمكاننا أن نشطب مؤتمرات القمة من قائمة كوارث الأمة العربية!.

* * *

نَتدفأ

نتدفأ، معاً، بهذه الطعنة
التي اخترقت قلبي وقلبك
مضلاً من الجمر والفرح
بعد جولتنا الطويلة
في الأحاسيس الجليدية
والقلوب الباردة

*　　*　　*

دعي هذه الطعنة تتغلغل..
تتغلغل...
إلى ذلك الركن القصيّ
الذي لا تصله
المشاعر المصبوغة
ولا الكلمات ذات الضفائر المستعارة

*　　*　　*

نموت من الطعنة؟!
رُبّـــما
ولكن هل هنالك أشهى
من الموت دفأً
في عواصم الصقيع؟.

* * *

يَاشَبابُ (*)

أجيئكم الليلة خالي الوفاض. لا أملك عباءة الواعظ، ولا محبرة المعلم، ولا حكمة الفيلسوف، لأتحدّث إليكم حديثاً قصيراً يحمل ما في الشعر من جنون كالعقل وعقل كالجنون.

● أقول: عندما يومىء إليكم الفجر بخجل، سيروا إليه بإصرار. وحين تهمس الحياة في آذانكم برقّة، أجيبوها بصوت يصل إلى مسمع الشواهق. وعندما يباغتكم اليأس، باغتوه بابتسامة الإيمان. وعندما تضجّ صدوركم بالأحلام الكبيرة، أقسموا أن تكونوا أكبر من أحلامكم.

● أقول: سوف ترتكبون العديد من الأخطاء، فلا تخجلوا من أخطائكم.. ولا تمجّدوها، وسوف يلتهم الفشل بعض أمانيكم الغالية، فلا تنصرفوا من مطاردة الأماني إلى مطاردة الفشل.

(*) ألقيت في حفل تخرج كلية البحرين الجامعية سنة١٩٨٥ م ـ ١٤٠٦ هـ.

● أقول: تغرّبوا ما شاء لكم حب المغامرة، ولكن تذكّروا أن أحداً لا يستطيع أن يهرب من نفسه. وتعرّفوا على أكبر عدد من الأصدقاء، ولكن تذكّروا أن الصداقة، في جوهرها الأصيل، لا تُحسب بالأرقام. واقطفوا من كل بستان وردة، ولكن اعلموا أن الوردة لا تمنح شذاها إلا لإنسان لا يحمل بين يديه، وفي قلبه، سواها.

● أقول: عندما ينصحكم الشيوخ استمعوا بانتباه، فالنصيحة قد تنفع الناصح قبل المنصوح. وعندما يطلب منكم الآباء أن تعيشوا حياتكم كما عاشوا حياتهم، لا تغضبوا فهم لا يريدون أن يرسموا لكم غدكم القادم ولكن أن يستردّوا، عبركم، أمسهم الضائع. وعندما يحدثكم الأجداد عن روعة الماضي، لا تسخروا بل حدثوهم قليلاً عن روعة التفكير في المستقبل.

● أقول: عندما تحبّون، حاولوا أن تعشقوا، بالإضافة إلى المحبوب، شيئاً آخر. كالعدل، كالسخاء، كالحريّة، كالمساواة. وعندما تبغضون، حاولوا أن تبغضوا، بالإضافة إلى من تكرهون، شيئاً آخر.. كالظلم، كالجشع، كالأنانية، كالجبن. عندها يصبح حبكم أسمى وأنقى، ويصبح لكرهكم صفاء الحب.

السَادات .. وَابنته

«أبي وأنا» كتاب ظهر في سنة ١٩٨٥ باللغة الإنجليزية، بقلم كاميليا السادات تتحدث فيه عن تجربتها مع الزعيم الراحل أباً وتقول إن الكتاب ليس سوى رسالة حب طويلة من ابنة إلى أبيها.

إلا أن الكتاب يكشف لنا عن جوانب بالغة الغرابة في شخصية السادات وفي علاقته بكاميليا وشقيقتيها تجعلنا نتساءل:

أولاً، هل الوقائع التي أوردتها المؤلفة صحيحة؟.

وثانياً، في حالة صحّتها، ما هي العقد النفيسة الفظيعة التي شوهت علاقة الأب ببناته من زوجته الأولى؟.

ماذا تقول كاميليا؟

● تقول إن أباها كافأ أمها على صمودها بجانبه طيلة بقائه في

السجن وعلى تضحياتها الكثيرة بأنه طلقها بعد خروجه من السجن.

● وتقول إنه بعد الطلاق رفض أن يدفع أي مبلغ للزوجة المطلقة وبناتها حتى تدخل رئيسه في الجيش وأمره بالدفع.

● وتقول إنه حاول إقناع الزوجة المطلقة أن تذهب ببناتها إلى «ميت أبو الكوم» متجاهلاً ما يعنيه هذا القرار من قضاء على أي فرصة في تعليم بناته.

● وتقول إنه زوّجها وهي في الثانية عشرة من عمرها، مخالفاً بذلك قانون الأحوال الشخصية في مصر، وزوج شقيقتها وهي في الخامسة عشرة في ليلة واحدة ليرتاح من عبء الإنفاق عليهما!.

وماذا عن الزوج؟!

● تقول إنه كان يرفض أن يصرف عليها أو على المنزل قرشاً واحداً.

● وتقول إنه كان يتركها تعاني آلام الجوع المبرّح ويذهب ليأكل مع أمّه.

● وتقول إنه كان يضربها ضرباً موجعاً إذا اشتكت أو احتجّت.

ولم تنته المأساة الزوجية إلا بعد أن أقنعت أباها الذي كان يقف دائماً بجانب زوجها، بمدى شقائها فأمر السادات زوجها بتطليقها.

ثم أصبح السادات رئيساً للجمهورية.

فماذا حدث؟.

تروي لنا كاميليا المزيد من العجب العجاب:

● تقول إنها وشقيقتاها كن يتسقطن أخباره من الصحف.

● وتقول إنها عندما سمعت بإصابته بنوبة قلبية ذهبت لزيارته فمنعها الحرس من الدخول (وهذا المنع يتكرر كلما ذهبت إلى بيت أبيها دون استدعاء).

● وتقول إنه لم يكن يدفع لشقيقتها المطلّقة سوى ٥ جنيهات (خمس) شهرياً لنفقتها.

● وتقول إنه كان يضطرها إلى استخدام وسائل النقل العامة.

● وتقول إن هذه المعاملة الجافية من جانبه دفعتها إلى محاولة الانتحار ـ وقد قضت فترة طويلة في المستشفى واكتفى السادات بإرسال باقة ورد مع سكرتيره ولم يزرها سوى مرة واحدة وبّخها فيها.

● وتقول إنه بعد موت أبيها تركت منسية في واشنطن حيث كانت تدرس بينما كان أخوها لأبيها جمال يستقل طائرة خاصة يعود فيها بمفرده إلى مصر.

خلال هذه الصورة السوداء الداكنة تحاول المؤلفة، دون نجاح، أن تسرد بعض اللمسات الأبوية الحانية التي لم تتكرر إلا فيما ندر والتي تؤكّد، بدلاً من أن تنفي، غرابة العلاقة بين الأب وابنته.

وبعـــد!

● هل الكتاب رسالة حب من ابنه إلى أبيها ـ كما تدعي المؤلفة في مقدمتها؟.

● أم تصفية حساب قديم أمام الملأ ـ كما أدّعي أنا؟.

● أم مزيج من العاطفتين؟.

لا ندري، على وجه التحديد.

ولكن المؤلفة، على أية حال، جديرة بكلمة شكر فقد أضافت بكتابها هامشاً صغيراً إلى هوامش التاريخ.

* * *

رسالة إلى معجبة

من الأفضل لك، ولهذا الذي تقولين إنك معجبة به، أن تظلّا بعيدين كل البعد. لأن البعد، هنا، هو سبب الإعجاب. فهو كبعد القمر، يخفي الأخاديد والوديان والصخور ولا يظهر سوى الوجه المستدير البرّاق. وهو كبعد الأيام الغابرة، يغطّي المآسي والفواجع ولا يبقي سوى الذكريات الضاحكة.

هذا الذي تقولين إنك مغرمة به إلى حد الجنون يلوح لك بوجه غير وجهه الحقيقي، يتحدّث إليك بلسان غير لسانه الحقيقي، بلغة غير لغته الحقيقية. وجهه يختلف عن الرسم الذي أجاد المصور إخراجه، ولسانه لا ينطلق بالفصاحة التي تعهدينها، ولغة ليست مصنوعة من الموسيقى والشعر.

وأنت لست معجبة به. أنت معجبة بالصورة التي تسكن خيالك. وكم هو فاجع أن نلتقي بصورة عشقناها لنكتشف أنها

مجرد قناع تختفي وراءه ملامح غريبة، لم نرها من قبل.. ولم نعشقها.

وبعد أن تنتهي حصيلتك من كلمات الإعجاب وحصيلته من الإجابات المهذبة ماذا ستقولين؟ وماذا سيقول؟ هل سيحدثك عن تلوّث الفضاء؟ أو مأساة الحيتان المنقرضة؟ أو ينشدك لامية العرب؟ وهل ستحدثنيه عن آخر فستان؟ أو آخر أغنية؟ أو آخر إشاعة؟ وهل تستطيعان مقاومة التثاؤب؟.

قال قائل مرّة: «البطل لا يبدو بطلاً في عين وصيفه».

دعيه، إذن، بطلاً...

ولا تتحولي إلى وصيفة!.

* * *

عجائب الأخبار
في شعراء البيع والإيجار

دخلت على المتأمل الحكيم، فإذا به في هم عظيم. قال: أوّاه يا أبا نفيس. من هذا الزمان الخسيس. أصبح الشعر بضاعة. يتاجر فيها الجماعة. قلت: هوّن عليك المصاب. فهذا شأن الشعر عبر الأحقاب. وقد عاش الشعراء على العطايا. وأكثروا من قبول الهدايا. وتطلعوا إلى «الشرهات» ولم يشبعوا من كلمة «هات». ألم تسمع قول شاعر نحرير يفخر على شاعر فقير:

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن
مجمّعة من هؤلاء وأولئكا
وما نلت حتى شبت إلا عطية
تقوم بها مصرورة في ردائكا

ألم تسمع ما قيل في داهية الأدباء. وأشعر الشعراء:

لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما
بقدر العطايا.. واللها تفتح اللها

وما دام هذا هو الشأن عبر التاريخ، فلا تكثر على هذا الزمان التوبيخ. فزفر المتأمل من كبد مصروعه. حتى خفت أن يكسّر ضلوعه. وقال: كلا! كلا! يا أبا نفيس. الأمر يختلف في زماننا الخسيس. إن شعراءنا القدامى. شعراء البشاقة والخزامى. لم يخدعوا الناس. ولم يتنكروا بأي لباس. بل كانوا يمدحون نهاراً. ويقبضون جهاراً. لم يدّعوا الطهارة. ولا لفقوا البكارة. ولم يعتنقوا أيديولوجية. ولا نسبوا أنفسهم إلى الثورية. ولا شتموا النفط. وهم يشفطونه شفط. أما في هذه الأيام. فقد استؤجرت الأقلام. وبيع الشعر بيع شرائط الفيديو والأفلام. قلت له: أيها المتأمل! كيف؟ قال: سأوضح لك هذا الزيف. أما ترى إلى أخينا فلان. له خمسون ديوان. ويعلم الله أنه غشيم. وأبهم في الشعر من البهيم. فما زاره مرة شيطان القريض. ولا عرف الفرق بين الجريش والجريض. ولكنه يستأجر الشعراء. كما تؤخذ المنازل بالكراء. ومن أعجب عجائبه. وأطرف غرائبه. أنه يستأجر من الشعراء الكثير. وفيهم الكبير والحقير. فيأتي ما ينشره أعجوبة. تضحك الثكلى المنكوبة. فقصيدة كشعر الأخطل الصغير. وأخرى كخربشة طفل صغير. ومنذ مدة يا أبا نفيس. وكانت ليلة خميس. سمعت قصيدة عصماء. لشاعرة من بنات حواء. ذكرت

وكالات الأنباء. أنها أشعر من الخنساء. وبينما كنت أسمع الأبيات. قلت: هيهات هيهات. ليس هذا الشعر من شعرها. ولا هذا اللؤلؤ من بحرها. إنه لمن شعر فلتان. الذي لا يجهله إنسان. وهو الذي طلب من الشعراء الاستشهاد. ثم سخر نفسه لشهرزاد. يمنحها أشعاره. وتمنحه شقة في عماره. فيا لها من صفقة عظيمة. تغضب أهل الحسد والنميمة.

وهنا دخل ابن منقذ أسامة. متأبطاً كتبه وأقلامه. فقال: ما هذا النقاش؟ ولم تصرخان كالأوباش. قلت له: هل لك في قصيدة. عصماء خريدة. تشتريها مني «الحين». فتصبح من الشعراء النابغين. بعد أن جاوزت الستين. قال: ليس عندي سوى نصف ريال. فهات ما لديك دون جدال.

وهنا ضحك المتأمل ضحكاً أزال عبوسه. وقال لطباخه: املأ بطنيهما سمبوسه.

* * *

الجمال البذيء

أما أنّك جميلة فهذا أمر لا ينكره أحد. لا! إنه أمر يشهد به كل أحد. لا! إنه أمر لا يشبع من إعلانه أحد.

إلا أن الجمال، أيتها المخلوقة الجميلة، أنواع:

هناك رقة الوردة: حمرة في اللون وشذى في الرائحة.
وهناك خفة الفراشة: قوس قزح من المرح يطير.
وهناك سحر القمر: ذهب ناعم يتسلّل إلى الروح.
وهناك فتنة اللؤلؤة: بريق يداعب العين ولا يؤذيها.
وهناك، أيتها المخلوقة الجميلة، أنواع أخرى من الجمال.

هناك ضراوة الحية الرقطاء تلتوي على عنق ضحيّتها والضحية مبهورة بالجسم اللدن المرقط اللذيذ..

وهناك غدر النمرة الجائعة تنقضّ فجأة فتختفي الأنياب البيضاء في بحيرة صغيرة من القرمز.

وهناك خداع الأعماق الهادئة تدعو الملاح إليها ثم تطبق عليه فلا يرى السطح، ولا الحياة، مرّة أخرى.

وأنت تدرين، أيتها المخلوقة الجميلة، إلى أي نوع ينتمي جمالك.

تدرين لأن جسمك اللون المرقّط اللذيذ التفّ على عشرات الضحايا.

تدرين لأن أنيابك البيضاء غابت في بحيرات كثيرة من القرمز.

تدرين لأن أغوارك الهادئة دفنت قوافل لا تنتهي من البحارة البلهاء.

وأنا، أيتها المخلوقة الجميلة، لا أنوي الانتحار.
لا أنوي أن أكتب عنك بيتاً واحداً من الشعر.
ولا أن أقضي دقيقة واحدة في انتظارك.
ولا أن أضيع لمحة واحدة في حبك.
فأنا، أيتها المخلوقة الجميلة،
أكره الجمال البذيء.

* * *

لقاء "طبق الأصل"
مع شاعر صاعد

● من أنت؟

ـ أنا مهدي الأدب المنتظر. أنا أشعر الناس.

● متى كتبت الشعر؟

ـ في رمضان الماضي.

● ما شاء الله! حوالي سنة؟

ـ نعم. سنة.

● من مثلك الأعلى في الشعر؟

ـ نفسي.

● ما رأيك في نزار قباني؟

ـ مراهق.

● الأخطل الصغير؟.

ـ لا أحب شعر الهجاء.

● الأخطل الكبير هو المشهور بالهجاء. أنا أسأل عن الأخطل الصغير.

ـ مثل أبوه.

● وحجازي؟

ـ تعجبني رسومه الكاريكتيرية.

● أقصد حجازي الشاعر؟

ـ تعجبني رسومه الكاريكتيرية.

● ما رأيك في شعراء المنطقة؟

ـ ليس في المنطقة شعراء غيري.. وغير تلاميذي.

● من هم تلاميذك؟

ـ أخي عبيّد. وأختي جمانة. وابن عمي رحيم.

● ما رأيك في النقد؟

ـ الدولار منخفض هذه الأيام.

● عفواً ـ أقصد النقد الأدبي؟

ـ ليس في المنطقة نقّاد.

● هل لديك اطلاع على الأدب القديم؟

ـ طبعاً. قرأت ديوانين لسليمان العيسى.

● أقصد الأدب القديم جداً؟

ـ طبعاً. قرأت في المدرسة قطعة للمنفلوطي.

● ما رأيك في المتنبي؟

ـ أسمع من الإخوان أنه يتبع القوالب المتحجرة.

● وماذا عن أبي فراس؟

ـ مستواه تحسّن عندما كتب لأم كلثوم.

* * *

عَن الرموز وَالأحاجي

يمثّل الرمز جزءاً لا يتجزأ، من لغتنا العادية اليومية:

● لا تـريد أن يفهم الحـاضرون مـرادك فتتحـدث عن (الرجّال) والمقصود إنسانة من الجنس اللطيف.

● وتحاول أن تدخل على الموضوع شيئاً من الإثارة فتتحدث عن (الشغْل) ـ دون تفسير.

● وتريد أن تعبر عن شعورك بعنف فتشير إلى (الحيوان) والمقصود رئيسك في العمل.

ودور الرمز في الأدب لا يختلف كثيراً عن دوره في الحياة اليومية:

● يلجأ الأديب، أحياناً، إلى الرمز لأنه يريد، عـامداً، التلميح دون التصريح كما في «كليلة ودمنة» قديماً ـ وأولاد حارتنا لنجيب محفوظ حديثاً.

● ويلجأ الأديب، أحياناً، إلى الرمز لإضفاء بعض الظلال، بعض الغموض الشفاف الموحي على موضوع التجربة ـ ومن هذا القبيل استخدام الأساطير وشخصيات الفولكلور (كما استخدم أمل ونقل بروعة قصة المهلهل وكليب).

● ويلجأ الأديب، أحياناً، إلى الرمز لتفجير طاقة شعورية لا يمكن تفجيرها إذا عبر عن مراده مباشرة ـ ومن قبل ذلك استخدام رمز (الصلب) للتعبير عن المعاناة (والتتر) للإشارة إلى الأعداء.

في هذه الحالات وأمثالها يخدم الرمز غرضاً فنياً ويساهم في إغناء العمل الأدبي وفي إخصاب تجربة القارىء.

بقيت الرموز التي لا تخدم غرضاً ولا تغني أدباً ولا تثير خيالاً ـ وهنا ننتقل من الترميز إلى التعجيز، ومن عالم الرموز إلى دنيا الأحاجي والطلاسم.

* * *

نجَاد..وَالدايْنصُور؟

أدرك نجاد، على الفور، عندما رأى الداينصور الذي لا يتجاوز طوله قدماً واحداً أنه أمام كائن قادم من الفضاء البعيد. واندمجا في حديث طويل. أخبره الداينصور أنه قادم من كوكب غادره الضوء الذي يراه نجاد في المساء قبل آلاف السنين. وأنه معمور بالداينصورات التي تشبه مخلوقات الأرض المنقرضة. إلا أنها تستطيع أن تتحكم في حجمها فتكبر وتصغر حسب الحاجة. وهي مزوّدة بأجهزة اتصال تتعامل مباشرة مع الأفكار. وقال الداينصور: إنه يزور الأرض في مهمة استطلاعية سريّة. ورحّب نجاد به ضيفاً في الحديقة. ووعده أن يكتم سرّ وجوده. واحترم وعده.

كانا يتحدثان ساعات طويلة. لا أسئلة نجاد تنتهي ولا أسئلة الداينصور. أخبره نجاد عن «أبلة» اللغة العربية ومضايقاتها اليومية. أخبره عن أبيه الذي لا يملّ سؤاله عن «الواجبات». وعن أمّه التي تغضب كلما اتسخ ثوبه. وعن

أخويه اللذين يكبرانه واللذين يحبان تذكيره دائماً أنه الأصغر.. والأضعف. وكان الداينصور يضحك ونجاد يشكو متاعبه اليومية.

في صباح اليوم التالي فوجئت «أبلة» اللغة العربية بفكرة طاغية تدخل رأسها بلا استئذان:

- لقد قضى نجاد وقتاً طويلاً في أداء واجباته. ألا يستحق منك بعض التشجيع؟

وسارعت الأبلة، دون تفكير، تطبع قبلة كبيرة على جبين نجاد.

بعد الظهر، فوجىء والد نجاد بفكرة غريبة تتسلّل إلى دماغه:

- متى أخذت نجاد للنزهة آخر مرّة؟.

التفت إلى نجاد وطلب منه أن يرافقه في جولة في مدينة الملاهي.

عندما رجعا كانت أم نجاد على وشك أن تعاقبه على الثوب المتّسخ عندما دخلت رأسها فكرة عجيبة:

- تذكّري كم شعرت بالظلم وبكيت عندما ضربتك أمّك وأنت في سنه لأنك وسّخت رداءك الجديد.

نظرت إليه وابتسمت، وعانقته.

أما الإخوان فقد بدآ يشعران ويتصرفان على أساس أن واجبهما الوحيد هو حماية أخيهما الصغير. لا إخافته، دون أن يدركا سبب هذا الشعور الجديد.

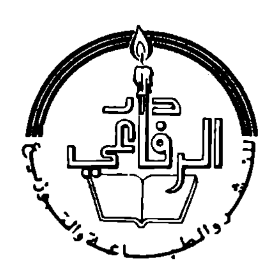
قبل أن ينام نجاد تلك الليلة كان يفكر في أن هذا العالم سوف يكون أسعد بكثير لو كان لدى كل طفل داينصور صديق من الفضاء البعيد.

* * *

الفهرس

تم فسح هذا الكتاب من المديرية العامة للمطبوعات

برقم ٢٥٦٥/م وتاريخ ١/٥/١٤٠٨ هـ





المؤلف بقلمه

لم يكن يخطر بباله إلا
أنه خلق للتدريس في الجامعة. ولكن
أمواج الحياة قذفت به من عمل
إداري إلى آخر حتى استقر به
المقام في عمل دبلوماسي ناعم ورقيق.
وكان عبر هذا كله يكتب شعراً ونثراً
وقال الشعراء أنهم يحبون نثره أكثر.
وقال الكتاب أنهم يفضلون شعره.
ويظن هو أن التاريخ لن يحفظ له
شعراً أو نثراً
على أنه لا يكتب للتاريخ
ولا يعنيه ما يكتبه التاريخ عنه..
فهو يتبع قدره المعقد
يضحك، أحياناً، ولكنه ليس بالمهرج
ويتجهم أحياناً، ولكنه ليس بالبروز
ويكتب عن إنسان واحد
يأمل أن يرى الآخرون بعضاً من ملامحهم فيه
شعراً ونثراً
فيضحكون من أنفسهم
ويبكون مع أوصالهم

غازي القصيبي

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

الثمن: ٤ ريالات